Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عند نفس النقطة من الحائط فيمر الكلام مباشرة فى انائها الى انائى ٠ وكيف لى ان أعلم أنها هى الأخرى وصلت الى نفس استنتاجى وبدأت تبحث عن مكانى مثلما بدأت أبحث عن مكانها ٠ ويا له من مشهد ذلك الذى كان مقدرا أن يراه الرائى لو أتيح له أن يشاهد كلينا فى الوقت نفسه بحيث يتابع تلك اللعبة الخالدة الدائمة ربما منذ بدايات الخليقة ، ذلك البحث الدائب عن ملتقى بين اثنين أقرب ما يكونان وأبعد ما يكونان ، لا يفصلهما سوى بضعة سنتيمترات من حجر أو طبقة أو جنس أو لون ٠

ذاق ادريس مرارة السجن ، وعرف ماهية حياة السجن ، وكان — أولا وقبل كل شىء — على وعى تام بماهية النفس البشرية ، التى لا تقوى على الحياة من غير اتصال حميم ، تماما كما كانت الروائية الانجليزية العبقرية — التى أشار هنرى جيمس عن تجربتها مع الفتى البروتستانتى — تعرف ماهية الشباب ، وماهية البروتستانتية ، وما يعنيه كون المرء فرنسيا ، وقبل أن يصل المؤلف الى الهمس المسحوق ، يتدرج بنا درجات عدة وهو يصور حياة السجين تصويرا مؤثرا بليغا ٠ فاذا ما وصل الى « قصاصة الجريدة الألمانية » صدقناه ، رغم كل ما بنيت عليه الواقعة من مبالغات يبرع فى تقديمها كعـــادته ٠ فالتوليد والتخريج من داخل « الواقعة العابرة » التى قد لا يلتفت اليها أحد ، لا يهدف الا الى تصوير عذابات السجين التى قد تؤدى به الى الجنون : كانوا يحضرون لنا الطعمية فى الصباح ملفوفة — زيادة فى تعذيبنا بمنع أى متعة عنا ولو كانت قراءة الأخبار القديمة فى الصحف العربية — فى جرائد ألمانية لا أعرف من أين استطاع المتعهد الهمام أن يعثر على كل تلك الكميات منها ٠

وبطبيعة الحال ، نحن لا نقف طويلا أمام « قصد التعذيب » هنا ، باعتباره حقيقة واقعة ، وانما باعتباره حقيقة نفسية ، خصوصا اذا كان يهرب اليه — ككل السجون المصرية — ما لا يخطر على بال ، كما يذكر راوى القصة نفسه بعد ان سرد حكاية « اللومانجى » ٠ وذكر ان ادارة السجون أقامت بعد الحادثة حائطا سميكا من الأسمنت ٠ وحيث ان المونة من الأسمنت لابد من استعمال أصبع من الديناميت ، أكلف أحد العساكر بشرائه ٠ وما داموا يهربون كل شىء الى السجن حتى المخدرات ، فلماذا يستعصى الديناميت ، وأصنع لى فتحة ادخل بها الى بيت اللحم المجاور ، اللحم الشهى الحى الذى لم أذق طعمه من سنوات ؟ ، كذلك — وللغرض نفسه — لا نسعى وراء المتعهد « الهمام » لنعرف من أين حصل على هذه الكميات التى لا تتوافر — فى زعمنا — الا فى أماكن محدودة تحافظ عليها ولا تبعثرها ، مثل السفارة الألمانية ومعهد جوته ٠ لكن الواقعة محتملة الحدوث أيضا ، والأكثر احتمالا للحدوث منها ما حدث للراوى معها ٠